دار القلم

الخلية

البراء

المملكة العربية السعودية - ص.ب ٦٣٧٣ الرياض ١١٤٤٢ هاتف: ٤٧٧٥٣١١ ناسوخ: ٤٧٧٤٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده وبعد :

فإن من أظلم الظلم أن يسيء المرء إلى من أحسن إليه وأن يعصيه في أوامره وأن يخالف تعاليمه ويزداد هذا القبح وذاك الظلم إذا أعلنه صاحبه وجاهر به ولم يبال بمن رآه أو سمعه حتى ولو كان هو الذي أحسن إليه وجاد عليه وتكرم وتفضل . . فما بالك أخي القارىء الكريم إذا كان المحسن المتفضل هو الله تعالى والعاصي المجاهر هو أنا وأنت . . . إنها بلية عظمى ورزية كبرى أن يتبجح المرء بمعصيته لله عز وجل ويعلنها صريحة مدوية بلسان حالة ومقالة ناسياً أو قل متناسياً حق الله وفضله عليه .

لذا فقد حذر الشرع المطهر من مجاهرة الله بالمعصية وبيّن الله تعالى أن ذلك من أسباب العقوبة والعذاب فمن النصوص الدالة على ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩] هذا الذم والوعيد فيمن يحب إشاعة الفواحش فما بالك بمن يشيعها ويعلنها .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية ﴿ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ : بأن النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي وقال أبو العالية : «من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة » [تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٦]

كما أخبر سبحانه بأنه لايحب الفساد ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ولاشك أن المجاهرة بالمعاصي من أعظم الفساد .

وبين جل وعلا أنه لايحب الجهر بالسوء ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨] قال البغوي - رحمة الله - في تفسير الآية : «يعني لايحب الله الجهر بالقبح من القول إلى من ظلم » [تفسير البغوي ١/ ٣٠٤] .

وفي الحديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الناس إذا رأوا المنكر لايغيرونه أوشك الله أن يعمهم بعقابة » [رواه الترمذي ٥/ ٢٥٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي معافى إلا المجاهرين » [رواه البخاري ومسلم] وهكذا سنة الله تعالى في الكون فما أعلن قوم التجرؤ على الله بالمعاصي والتبجح بها إلا وأهلكهم الله وقضى عليهم ودمرهم . . والمتأمل في سير الغابرين والأقوام السالفين يجد ذلك جلياً واضحاً فما الذي أهبط آدم من الجنة ؟ وما الذي أغرق قوم نوح ؟ وما الذي أهلك عادا بريح صرصر عاتية ؟ وماالذي أهلك ثمود بالصاعقة ؟ وماالذي قلب على قوم لوط ديارهم وأتبعها بالحجارة من السماء ؟ وماالذي أغرق فرعون وجنده ؟ وماالذي . . ؟ وماالذي . . ؟ إنها المعاصي والمجاهرة بها .

فالله تعالى هو القوي والبشر هم الضعفاء والله هو العزيز وهم الأذلاء بين يديه وهو الكبير المتعالي فله الكبرياء المطلق والعظمة الكاملة عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى :

«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار » [رواه مسلم] .

ولعل من أسباب قبح هـذه المعصية وزيـادة شناعتها أن فيهـا نوعاً مـن الاستهانة وعـدم المبالاة وكأن لسـان حال هـذه العاصي لله تعـالى يقول : أعلم أنك تـرى مكاني وتسمع كـلامي وأنك عليّ رقيب ولعملي شهيـد . . ولكن مع ذلك كلـه أعصيك وأعلن ذلك أمامك وأمـام كل من يـراني من خلقك !! . .

ومن أسباب شناعتها وقبحها أن فيها دعـوة للناس إلى الوقوع في المعاصي والانغماس في وحلها . . حيث إن هذا المبـارز لله بالمعصية يدعو بلسـان حاله كل من رآه أو سمع به . . عـن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « . . ومن دعا إلى ضـلالة كان عليه من الإثم مثل آثـام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً » [رواه مسلم] .

ومن أسباب قبحهـا أن الذي يفعل المعصيـة جهراً قد يستمـرىء هذا الفعل ويصبح عنـده أمراً عادياً فربما أدى به ذلك إلى إباحته واستحـلاله ولاشك أن استحلال المعاصي واستباحتها من أخطر الأمور على عقيدة المسلم وقد يؤدي به ذلك إلى الخروج من دين الإسلام لا سيما إذا كان الأمر معلوماً من الدين بالضرورة تحريمه كالزنا واللواط وشرب الخمـر وأكل الربا ونحو ذلك من المحرمات أجارنا الله منها .

ولقد تفشى بين بعض المسلمين - هـداهم الله - هذا الداء العضال وسري في جسـد الأمة حتى لا يكاد يسلم منه بلد أو حي أو مجتمع ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن صور المجاهرة بالمعاصي التي ابتلي بها بعض المسلمين :

* التخلف عن الصلاة مع الجماعـة - مع القدرة عليها - فتجـد أحدهم يدخل منزلـه والصلاة تقـام فلا يلقي لها بـالاً ولايكترث ولايسهتم بها وكأن النـداء فيها لغيره من النـاس والأدهى من ذلك والأمـر أن يمارس البعض مهنته من بيع أو شراء أو نحـو ذلك في أثنـاء إقامـة المسلمين لهذه الشعيرة العظيمة ولاحول ولاقوة إلا بالله . في الحديث الصحيح عن أبي هـريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لقد هممت أن آمـر بالصلاة فتقـام ثم أخالف إلى منـازل قوم لا يشهدون الصـلاة فأحرق عليهم بيوتهم » [رواه البخاري ومسلم] .

* ومن صـور المجاهـرة الـدعوة إلى المعـاصي والكبـائر والإعـلان عنها وإذاعتهـا كما يحصل ذلك في الإعلان عن تجارة ربوية أو المساهمة في بنك يتعامل بالربا أو مبيعات محرمة أو الدعوة إلى مشاهدة عروض غنائية أو حفلات مشتملة على الأغاني والموسيقى والطبول والمعازف ونحو ذلك .

* ومنهـا مايقـوم به بعض الشبـاب - هداهم الله - من الـرفع على آلات اللهو من مـوسيقى أو معازف في الطرقات أو عند الإشارات أو على الشواطىء وفي المنتزهات ونحو ذلك . .

* ومنها مـا يشاهد بين أوسـاط بعض الشباب المسلم من التشبـه بالغرب وتقليـدهم في الكلام اللباس والمركب وقصات الشعور والحركات وما شـابه ذلك حتى صار بعضهم يفتخر بذلك ويتعالى به وما علم المسكين أنـه بذلك دخل جحر الضب من أضيق أبوابـه . . فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بـذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن !! » [رواه البخاري ومسلم] .

* ومنهـا قيـام بعض الكتـاب والصحفيين والممثلين ومـن على شـاكلتهم بكتـابـة مقـالات أو تحقيقات - إن صح التعبير - تخالف شرع الله وتناوىء دينه كـالكلام في ذات الرب تعالى وتقدس أو

سب الدين أو الرسول المعصوم ﷺ أو الدعوة إلى مخالفة الكتاب والسنة كالدعوة إلى خروج المرأة وتحررها وخلعها جلباب حيائها وسترها وكالحديث عن حجاب المرأة على وجه التندر والسخرية أو الاستهزاء باللحية أو بتقصير الثوب أو بالسواك أو التهكم بالصالحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أو بالقضاة والمشايخ وطلبة العلم ونحو ذلك من صور وأشكال الاستهزاء الذي قد يصل بصاحبه إلى الكفر فلقد كفر الله تبارك وتعالى قوماً - جاهدوا مع الرسول ﷺ وشهدوا بعض الغزوات مع المسلمين - حينما قالوا كلاما (انظر كشف الشبهات ص٣٢) هو أهون بكثير مما يفعله أو يقوله بعض الفسقة المارقين عبر بعض وسائل الإعلام المسموعة أو المرئية أو المقروءة .

* ومنها ماتقوم به بعض النساء - هداهن الله - من التبرج كالسفور عن الوجه كله أو وضع اللثام أو النقاب والبرقع بشكل ملفت للأنظار ، والخروج إلى الشوارع والطرقات والأسواق - لحاجة أحياناً ولغير حاجة أحايين - مع ماقد يصاحب ذلك من التعطر والتزين والتخنع والتميع . .

* ومنها أن يتحدث المرء أمام الملأ بما ستر الله عليه من معاصٍ وآثام فيمسي وقد ستر الله عليه ثم يصبح مجاهراً مفتخراً بمعصيته كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « . . وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » [رواه البخاري ومسلم] .

* ولعل من أبرز مايشاهد الآن من أنواع المجاهرة بالمعاصي مايقوم به بعض المسلمين - هداهم الله - من وضع أجهزة استقبال القنوات الفضائية في سطوح المنازل وعلى الأسوار وفي الاستراحات والفنادق ونحوها حيث يستقبل فيها ما تبثه تلك القنوات برمته خيره وشره - إن كان فيه خير - يفعل كل ذلك بعد صدور الفتاوى الموثقة بأدلة الوحيين من قبل علماء الإسلام الأعلام وكأن لسان حال واضع هذه الأجهزة وهو يضعها في أعلى مكان مجاهراً بذلك غير مستحي ولا متورع - كأن لسان حاله - يقول : ها قد فعلت هذه المعصية فليرض من يرضى وليسخط من يسخط .

وإلى كل أولئك نقول توبوا إلى الله واستغفروه وأنيبوا إليه واعلموا أن ربكم رؤوف رحيم يقبل التوبة عن عبادة ويغفر السيئات ويتجاوز عن الخطيئات ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

ثم إنه من قارف الذنب ووقع في المعصية ثم استتر بستر الله ولم يتبجح ويجاهر بها كان ذلك أدعى إلى التوبة وأرجى للإقلاع عن المعصية والندم على فعلها وعدم العودة إليها ومن ذلك ما جاء عن زيد بن أسلم : أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ « أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله ما أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله . . » [رواه مالك] .

وفي الصحيحين عن محرز المازني - رحمه الله - قال : بينما أنا أمشي مع ابن عمر - رضي الله عنهما - آخذ بيده إذا عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى قال (ابن عمر) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأي في نفسه أنه هلك قال : «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطي كتاب حسناته . . » [رواه البخاري ومسلم] .

أسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين وأن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يتجاوز عنا ويغفر لنا إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض